المـركز العـربي للأبحـاث ودراسة السيـاسات
Arab Center for Research & Policy Studies

دراسات | 4 نيسان/ أبريل، 2024

لماذا فشلت سياسة إيران في التوجّه شرقًا؟

شيرين هانتر

وحدة الدراسات الإيرانية

لماذا فشلت سياسة إيران في التوجّه شرقًا؟

سلسلة: دراسات

14 شباط/ فبراير، 2024

وحدة الدراسات الإيرانية

شيرين هانتر

باحثة زميلة فخرية في مركز الوليد بن طلال للتفاهم بين المسلمين والمسيحيين في كلية والش لدراسات الخدمة الخارجية بجامعة جورجتاون، وكانت قد التحقت بهذا المركز في عام 2005، بوصفها باحثة زميلة زائرة، وأستاذة زائرة، وأستاذة باحثة. قبل ذلك، شغلت هنتر منصب مديرة البرنامج الإسلامي في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن الذي انضمّت إليه منذ عام 1983. وهي مؤلفة ومحرّرة لثلاثين كتابًا ودراسة ولمئات المقالات التي نُشرت في مجلّات محكّمة، فضلًا عن عدّة فصول في كتب مختلفة.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2024

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعاين، قطـر

هاتف: 40354111 974 +

www.dohainstitute.org

المحتويات

أولًا: لماذا توجّهت إيران شرقًا؟ 1

ثانيًا: فهم الجمهورية الإسلامية لماهية الشرق 4

ثالثًا: توقّعات إيران من سياسة التوجّه شرقًا 5

رابعًا: سجلّ مخيّب للآمال 5

خامسًا: الصين والهند 7

سادسًا: أسباب فشل سياسة التوجّه شرقًا 9

سابعًا: الأسباب الإقليمية والدولية 11

ثامنًا: السياسات الإقليمية ومسألة إسرائيل 12

تاسعًا: الخلاصات والتوقعات 14

المراجع 15

أطلقت إيران، منذ حوالى عقدين من الزمن، سياسة «التوجّه شرقًا» [في سياستها الخارجية]. وسعت هذه السياسة إلى منح الأولوية للعلاقات بالدول الآسيوية، لا سيّما الصين، إضافة إلى علاقاتها بروسيا وآسيا الوسطى. غير أنّ إيران لم تطبّق هذه السياسة بعزمٍ إلّا في السنوات القليلة الماضية، بخاصة منذ وصول حكومة الرئيس إبراهيم رئيسي المتشدّدة إلى السلطة في عام 2021. صحيح أنّ إيران لم تتجاهل الدول الآسيوية، خلال رئاسة حسن روحاني (2013-2021)، وهو سياسي معتدل، لكنّها ركّزت على نحو أكبر على حلّ نزاعاتها مع القوى الغربية، لا سيّما الجدل الدائر بشأن البرنامج النووي. ومع ذلك، خلال فترة ولاية روحاني، جرى وضع الأساس لاتفاقية الشراكة مع الصين ومدّتها 25 عامًا، ووُقّعت في السنة الأخيرة من ولايته.

إلى حدٍّ ما، كان اهتمام إيران المتزايد بآسيا وقواها الصاعدة، بخاصةٍ الصين، متوقعًا، فضلًا عن اهتمامها بالهند، إذ أصبحت هذه الدول قوى اقتصادية وسياسية عالمية مهمة. من هنا، يمكن أن تصبح شريكًا اقتصاديًا وتجاريًا مهمًّا لإيران، وقد تمثّل أيضًا مصادر للاستثمار. وأصبحت هذه الدول أيضًا، لا سيّما الصين، أطرافًا فاعلة أساسية في الخليج والشرق الأوسط. لذلك، مثّل تعزيز إيران علاقاتها بتلك الدول خطوة منطقية. في الوقت نفسه، تقع روسيا وآسيا الوسطى بالقرب من إيران جغرافيًا، ما يعني أنّ التطورات في المنطقة والتحوّلات في سياسات موسكو وبعض دول آسيا الوسطى تؤثر على نحو مباشر في المصالح الأمنية الإيرانية. ومع ذلك، لم تكن هذه هي الأسباب الوحيدة التي دفعت إيران لاعتماد استراتيجية التوجّه شرقًا؛ فقد ساهم عاملان آخران أيضًا في هذا التحوّل: أوّلًا، الخلافات داخل القيادة الإيرانية بشأن وجهة سياستها الخارجية، بخاصةٍ طبيعة علاقاتها بالغرب؛ وثانيًا، خيبة أمل إيران في الغرب الذي لم يستجب لمبادرات طهران.

أولًا: لماذا توجّهت إيران شرقًا؟

ادّعت الجمهورية الإسلامية، منذ تأسيسها عام 1979، التزامها بسياسةٍ خارجية مستقلة، وعدم الاعتماد على أيّ قوة أجنبية أو مجموعة قوى. فخلال الحرب الباردة، كان هذا يعني الاستقلال عن الاتحاد السوفياتي وحلفائه، والكتلة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية. وتنعكس هذه السياسة المستقلّة المزعومة في شعار الجمهورية الإسلامية «لا شرق ولا غرب، الجمهورية الإسلامية فحسب». كان مصطلح «الشرق»، خلال سنوات الحرب الباردة، ضمن المصطلحات الدبلوماسية، بما في ذلك المصطلحات الإيرانية، يشير إلى الكتلة السوفياتية وليس إلى الصين أو إلى دول آسيوية أخرى. ويرجع ذلك جزئيًا إلى أنّ الصين كانت حتى انفصالها الرسمي عن الاتحاد السوفياتي عام 1961، جزءًا من الكتلة السوفياتية[1]. وبعد الانقسام الصيني - السوفياتي، اعتمدت الصين استراتيجيتها المستقلّة تجاه دول مثل إيران، والتي كانت في الأساس غير ودّية[2].

لم تنبثق فكرتا وجود سياسة خارجية مستقلّة لإيران، وعدم الارتباط بالقوى العظمى أو التكتّلات المتنافسة، من الجمهورية الإسلامية نفسها؛ إذ إنّ نظرية محمد مصدّق بشأن "التوازن السلبي" قامت على مبدأ تبنّي مسافة متساوية تجاه التكتّلات والقوى العظمى. صحيحٌ أنّ الجمهورية الإسلامية، منذ بداية تأسيسها، قد اعتمدت في خطابها سياسة خارجية مستقلّة، إلّا أنّ وجهات مختلفة سادت داخل قيادتها بشأن توجّهات سياستها الخارجية، بما في ذلك العلاقات بدول الكتلة الشرقية والغربية. وكانت بعض المجموعات، بما فيها العناصر اليسارية، معادية للغرب بشدّة، بخاصةٍ أميركا، ومؤيدة للاتحاد السوفياتي بدرجات متفاوتة. أما المجموعات

---

1 أدّت إدانة نيكيتا خروتشوف لستالين عام 1956 إلى حدوث الانقسام الصيني - السوفياتي. عارضت الصين هذه السياسة وتدهورت علاقاتها بموسكو حتى عام 1961، وذلك عندما دانت الصين الاتحاد السوفياتي واتهمته بالإمبريالية الاجتماعية.

2 خلال ستينيات القرن العشرين، دعمت الصين معارضي النظام الملكي في إيران، وكذلك في الخليج. على سبيل المثال، ساعدت الصين المتمرّدين في منطقة ظفار ضدّ حكومة سلطنة عمان، وكذلك فعل الاتحاد السوفياتي. غير أنّ إيران ساعدت عُمان كما فعلت بريطانيا. ينظر: Fred Halliday, *Arabia Without Sultans* (London: Penguin Books, 1974) . وبحلول عام 1971، سعت إدارة [الرئيس الأميركي] ريتشارد نيكسون إلى المصالحة مع جمهورية الصين الشعبية. وأقامت إيران أيضًا علاقات دبلوماسية مع بيجين في آب/ أغسطس 1971.

الأخرى، التي يشار إليها غالبًا بالمجموعات المعتدلة والبراغماتيين والإصلاحيين في ما بعد، فلم تثق بالاتحاد السوفياتي، وكانت على استعداد للتعامل مع الدول الغربية، بما في ذلك الولايات المتحدة.

وقد تغيّرت مواقف هذه المجموعات على مرّ السنوات. إذ تحوّل على سبيل المثال الراديكاليون المؤيدون للسوفيات في ثمانينيات القرن العشرين إلى إصلاحيين في مرحلة التسعينيات وما بعدها. وبعد هذا التحوّل، فضّل هؤلاء إعادة ضبط العلاقات بالغرب[3]. وفي الوقت نفسه، أصبح بعض العناصر الأكثر اعتدالاً في ثمانينيات القرن العشرين، محافظين، فعارضوا بشدّة تحسين العلاقات مع الغرب. تفسّر هذه الانقسامات داخل النظام إلى حدٍّ بعيد، موقف الجمهورية الإسلامية المتقلّب تجاه العلاقات بالقوى الشرقية والغربية، وفشلها حتى الآن في تطبيع العلاقات مع الغرب. ولا شكّ في أنّ ديناميات القوى الداخلية في إيران، والخلافات داخل النظام كانت مسؤولة على نحو رئيسٍ عن التحوّلات في موقفها تجاه العلاقات مع الغرب والجهات الفاعلة غير الغربية، غير أنّ سياسات القوى الغربية تجاه إيران، لا سيّما تجاهلها المبادرات الإيرانية، قد أدّت أيضًا دورًا مهمًا في هذه التحولات. ففي كثيرٍ من الأحيان، ساهم تجاهل القوى الغربية لهذه المبادرات في إضعاف موقف العناصر المعتدلة والإصلاحية الراغبة في تحسين العلاقات بالغرب.

في بداية منتصف ثمانينيات القرن العشرين، حاولت العناصر الأكثر اعتدالاً، التي ارتبطت ارتباطًا كبيرًا بعلي أكبر هاشمي رفسنجاني (شغل منصب الرئيس من عام 1989 إلى عام 1997)، إنشاء قنوات اتصال وحوار مع الولايات المتحدة. وبلغت هذه الجهود ذروتها في عام 1986. إنّ هذه المحاولات، التي أصبحت تُعرف بقضية إيران-كونترا أسفرت عن التباس بينها وبين خطط الولايات المتحدة الساعية إلى دعم القوات المناهضة لحكومة الساندنيستا في نيكاراغوا، ما عرّض تلك المساعي الإيرانية، للتحريف والفشل. وهكذا، فقدت فكرة التعامل مع إيران صدقيتها[4].

على الرغم من ذلك، استمرت إيران في التواصل مع الغرب، بما في ذلك الولايات المتحدة، خلال تسعينيات القرن العشرين وحتى عام 2005. لكن ردّ الغرب، بخاصةٍ الولايات المتحدة، لم يكن مشجعًا، بل على العكس؛ فقد ردّت واشنطن على مبادرات طهران بفرض عقوبات على إيران. وفي عام 1994، عرضت حكومة هاشمي رفسنجاني صفقة على شركة النفط الأميركية كونوكو Conoco. غير أنّ واشنطن لم ترفض هذا العرض فحسب، بل فرضت عقوبات جديدة على إيران في عام 1996[5]. وفي 29 كانون الثاني/ يناير 2002، بعد أن ساعدت إيران الولايات المتحدة في تشكيل حكومة جديدة في أفغانستان عن طريق تسليم التحالف الشمالي إلى واشنطن وتقديم التعاون، وصف الرئيس الأميركي جورج بوش الابن إيران بأنها جزء من محور الشر الذي ضمّ أيضًا العراق وكوريا الشمالية[6]. ومع ذلك، وبعد غزو الولايات المتحدة للعراق في آذار/ مارس 2003، تواصلت إيران مرة أخرى مع واشنطن، وعرضت عليها مناقشة القضايا الإقليمية وغيرها، إلّا أنّ الولايات المتحدة تجاهلت مجددًا هذه المبادرة[7].

---

3 كان الإصلاحيون في إيران اليساريين الذين قرروا الانضمام إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومحاولة الاستيلاء على السلطة من خلال العمل من داخل النظام. وكان سبب تغيير موقفهم إلى حدّ كبير انهيار الاتحاد السوفياتي في عام 1991 وتشويه سمعة الشيوعية. ينظر:
Shireen T. Hunter, *Iran Divided: The Historical Roots of Iranian Debates on Identity, Culture and Governance* (Lanham: Rowman and Littlefield, 2014).

4 سافر مستشار الأمن القومي الأميركي روبرت ماكفارلين سرًا إلى طهران بوصفه عضوًا في فريق هذا التواصل. ومع ذلك، اختلطت هذه المسألة بالسياسة الداخلية الأميركية، واستخدمها الديمقراطيون لمهاجمة سياسة الرئيس رونالد ريغان تجاه نيكاراغوا. وكانت العناصر المؤيدة للعرب داخل جماعة صنع السياسات الأميركية أيضًا مناهضة للتقارب بين طهران وواشنطن، واستخدموا الجدل القائم لتقويض جهود التواصل مع إيران. وفي الوقت نفسه، عمل الراديكاليون في إيران والاتحاد السوفياتي أيضًا على تخريب هذه الجهود. فعلى سبيل المثال، زوّد الاتحاد السوفياتي صحيفة **الشراع** في سورية بمعلومات عن الاتصالات السرّية بين إيران والولايات المتحدة. ويأتي ذلك بوصفه مثالاً على جهود العناصر الموالية للعرب لتقويض الحوار مع إيران. ينظر:
Fredrick Axelgard, "Mistaken Nostalgia About Iran," *The Christian Science Monitor*, 21/11/1986, accessed on 24/3/2024, at: https://bit.ly/3S19pZr; Shireen T. Hunter, *Iran and the World: Continuity in a Revolutionary Decade* (Bloomington IN: Indiana University Press, 1990).

5 اتخذ هذه المبادرة عضو مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك ألفونس داماتو، تحت ضغط كبير من إسرائيل ومؤيديها في الولايات المتحدة.

6 ينظر:
Shireen T. Hunter, *Iran's Foreign Policy in the Post-Soviet Era* (Santa Barbara: Praeger/ABC-CLIO, LLC, 2008).

7 من الواضح أن إليوت أبرامز، الذي كان في ذلك الوقت في مجلس الأمن القومي، لم يعرض الرسالة على كوندوليزا رايس، مستشارة الأمن القومي للرئيس جورج بوش الابن. يقدم تريتا بارسي نص الرسالة في كتابه:
Trita Parsi, *Treacherous Alliances: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the United States* (New Haven, CT: Yale University Press, 2007).

إنّ عدم رغبة الغرب في التعامل الجدّي مع إيران، ما لم تقبل الأخيرة بشروطها المسبقة كافة، بخاصةٍ تلك المتعلّقة بإسرائيل وقضايا إقليمية أخرى، لم يصبّ في مصلحة العناصر الموالية للغرب في انتخابات الرئاسة في عام 2005[8]. لقد اتّهم المتشدّدون الإصلاحيين والمعتدلين باتّباع سياسة خارجية «تعتمد على التنازل» (سياسة انفعالية). ساهم هذا العامل في فوز محمود أحمدي نجاد في الانتخابات، الذي أعاد، خلال ولايته الأولى (2005-2009)، إطلاق بعض السياسات المتطرّفة التي كانت سائدة في أوائل ثمانينيات القرن العشرين. وقد تبنّى، بخاصة، خطابًا تحريضيًا ضد إسرائيل، وأدلى بتعليقاتٍ ترقى إلى إنكار المحرقة. وأدّى موقفه من هذه القضايا إلى تصويره بوصفه محاورًا غير مقبولٍ لدى قادة الغرب. إضافة إلى ذلك، عملت إيران في عهده على توطيد العلاقات مع قادة يساريين في أميركا اللاتينية، مثل هوغو شافيز في فنزويلا وإيفو مورايس في بوليفيا، بعد أن كانت قد عزّزت بالفعل علاقتها بالنظام الشيوعي في كوبا[9].

في البداية، كان هذا التغيير في موقف إيران اختياريًا. وبعد أن فرضت الولايات المتحدة، في عهد الرئيس باراك أوباما، ما وصفته وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون بالعقوبات التعجيزية على إيران، لم تجد طهران من خيار سوى ضرورة العثور على شركاء اقتصاديين جدد. وتزامن ذلك إلى حدٍّ ما مع إطلاق إيران استراتيجية «التوجه شرقًا». وحتى في عهد نجاد، بخاصةٍ خلال ولايته الثانية، لم تكن سياسة التوجه شرقًا تعني التخلي تمامًا عن العلاقات بالغرب، أو إهمال الجهود الهادفة إلى التواصل مع الولايات المتحدة؛ فقد حاول التقرّب منها، غير أنّ مقاربته لم تتّصف بالحنكة، إذ إنه توجّه، على سبيل المثال، برسالة وعظية إلى الرئيس الأميركي[10].

عندما انتُخب حسن روحاني رئيسًا في عام 2013، تواصلت إيران مرة أخرى مع الغرب. فكان الردّ على طهران هذه المرّة أكثر إيجابيةً من الردّ الأميركي خلال إدارة أوباما، ما أدّى إلى توقيع خطة العمل الشاملة المشتركة Joint Comprehensive Plan of Action – JCPOA في عام 2015[11]. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن إدارة بوش، في الفترة 2003 - 2005، تجاهلت العديد من الفرص لتسوية النزاع النووي[12]. وخلال فترة ولاية أوباما الأولى، عارضت وزيرة خارجيته هيلاري كلينتون أيّ اتفاق مع إيران. وعملت ضد جهود الوساطة التي اضطلعت بها تركيا والبرازيل في هذا الصدد. ويعود ذلك إلى أنها كانت تؤيد فرض عقوبات تعجيزية على إيران، وذلك إرضاءً لإسرائيل على نحو جزئي[13].

أدّى توقيع خطة العمل الشاملة المشتركة إلى تسوية النزاع الطويل الأمد بشأن البرنامج النووي الإيراني، وتسبّب في تحسين مستقبل العلاقات السياسية والاقتصادية بين طهران والعواصم الغربية. وكانت إيران تسعى لتعيد الشركات الغربية الاستثمارات فيها، بعد توقيع الاتفاق، بخاصةٍ في قطاع الطاقة. وكانت تأمل أن ترفع الولايات المتحدة القيود المفروضة على المعاملات المصرفية والمالية، وتسمح بأن تبيع طائرات ركّاب أميركية الصنع لطهران. ولم يجر تنفيذ خطة العمل الشاملة المشتركة بالكامل، إذ كان تخفيف العقوبات المفروضة على إيران محدودًا، ولم تتحقق الاستثمارات الغربية. وعمدَ معارضو الاتفاق في إيران إلى

---

8 حتى إنّ المحللين الأميركيين الصقور اعترفوا بأن الولايات المتحدة أهدرت فرصة تحسين العلاقات بإيران وذلك عند إدراجها في خطاب محور الشر. ينظر:
Susan Maloney, "US Policy Towards Iran: Missed Opportunities and Paths Forward," *Brookings Institution*, vol. 32, no. 2 (2008), pp. 28-29, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3NL8J7Y;
ترى باربرا سلافين أيضًا أن فرصة توافرت في الفترة 2005 - 2006 لحلّ الخلافات بين إيران والولايات المتحدة. ينظر:
Barbara Slavin, *Bitter Friends, Bosom Enemies* (New York: St. Martin's Press, 2007), p. 218.

9 كان فيدل كاسترو داعمًا للمعارضة الإيرانية ضد الشاه.

10 كتب الرسالة في أيار/ مايو 2006. للاطّلاع على نصها، ينظر:
"Iran: Text of Ahmadinejad's Letter to Bush," *Radio Free Europe/ Radio Liberty*, 11/5/2006, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/47oEJWq

11 كان يمكن التوصل إلى اتفاق بشأن هذه المسألة في بداية عام 2005، غير أنّ إدارة جورج بوش الابن عارضت هذا الأمر.

12 للمزيد من التفاصيل، ينظر:
Hunter, *Iran's Foreign Policy in the Post-Soviet Era*, pp. 89 - 97.

13 Heather Maher, "Clinton Hopes to Change Brazil's Mind on Iran Sanctions," *Radio Free Europe/Radio Liberty*, 3/3/2010, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3RLpxg6

المشاركة بأعمالٍ استفزازيةٍ، ما أدّى أيضًا إلى تقويض الاتفاق[14]. ويرجع فشل خطة العمل الشاملة المشتركة في تحقيق منافع اقتصادية إلى المعارضة الكبيرة لها في إيران والولايات المتحدة، فضلًا عن إسرائيل وبعض الدول العربية[15]. أخيرًا، في أيار/ مايو 2018، انسحب دونالد ترامب من خطة العمل الشاملة المشتركة، واعتمد سياسة ممارسة الضغوط القصوى على إيران.

خلال ولاية روحاني، تحلّت إيران بالصبر وواصلت جهودها من أجل تحسين العلاقات مع الغرب. وعندما تولىّ الرئيس جو بايدن السلطة في كانون الثاني/ يناير 2021، رفض العودة إلى خطة العمل الشاملة المشتركة سريعًا، ما أضعف الأطراف الموالية للغرب في إيران. وقد مكّن ذلك المتشدّدين من الحؤول دون إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة.

لقد أضعف هذا الفشل الإصلاحيين/ المعتدلين إلى حدّ بعيد؛ إذ إنهم خسروا الانتخابات الرئاسية في عام 2021 أمام المتشدّدين الذين يمثّلهم إبراهيم رئيسي. وخلال رئاسة رئيسي، شهدت علاقات إيران بالغرب مزيدًا من التدهور، وتشدّدت طهران في موقفها بشأن المسألة النووية. وفي الوقت نفسه، تعزّزت علاقاتها بروسيا والصين. ومع ذلك، ادّعت حكومة رئيسي، في البداية، أنها تريد بناء علاقات «متوازنة» مع جميع الدول، ما يعني ضمنيًا أنه في حال توافرت الظروف المناسبة، سترحّب إيران بعلاقات إيجابية مع الغرب. باختصار، صحيحٌ أنّ هناك دائمًا عناصر داخل القيادة الإيرانية تعارض بشدة بناء علاقات جيدة مع الغرب، وغالبًا ما كانت تعرقل الجهود الرامية إلى تحسين العلاقات الإيرانية - الغربية، غير أنّ توجه إيران شرقًا كان، إلى حدٍّ بعيد، نتيجة تجاهل الغرب لمبادراتها.

ثانيًا: فهم الجمهورية الإسلامية لماهية الشرق

خلال السنوات القليلة الماضية، بخاصة بعد توقيع اتفاقية التعاون الإيرانية - الصينية، ومدّتها 25 عامًا في الأول من آذار/ مارس 2021، فُسّرت سياسة إيران في التوجّه شرقًا على أنها سياسة مرتكزة على نحو كبير على العلاقات بالصين. صحيح أن الصين تحتلّ اليوم مكانة مهمة في استراتيجية إيران الأمنية والاقتصادية الشاملة، إلّا أنّ التوجّه شرقًا لم يكن يقتصر بداية عليها فحسب. في الواقع، كانت إيران تأمل، على الأقلّ خلال فترة ولاية روحاني، أن تصبح الهند شريكًا اقتصاديًا مهمًا وتستثمر في البلاد، وتحديدًا في ميناء تشابهار الذي يقع جنوب شرق إيران. وفي 23 أيار/ مايو 2021، وقّع كلّ من روحاني ورئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي والرئيس الأفغاني أشرف غني اتفاقية لربط الهند بأفغانستان وآسيا الوسطى عبر ميناء تشابهار، وتعهّدت الهند باستثمار 500 مليون دولار لتطوير الميناء[16].

ويشمل فهم إيران للشرق دول آسيا الوسطى والدول الآسيوية المتقدّمة صناعيًا مثل اليابان وكوريا الجنوبية وماليزيا. وفي الآونة الأخيرة، سعت إيران إلى بناء علاقات أفضل مع إندونيسيا، وهو ما تجلّى في زيارة رئيسي في أيار/ مايو 2023[17]. إنّ المسار الطويل والشاق الذي سلكته إيران لتنضمّ إلى منظمة شنغهاي للتعاون

14 وبعد وقت قصير من توقيع الاتفاق، فجّرت إيران صاروخًا، مدركةً أن ذلك من شأنه أن يثير استياء واشنطن. وألقت أيضًا البحرية الإيرانية القبض على بعض البحارة الأميركيين الذين دخلوا المياه الإقليمية الإيرانية. وقد صبّت هذه الإجراءات في مصلحة معارضي الصفقة في الولايات المتحدة.

15 عارض بعض المتشدّدين في إيران الصفقة لأنهم كانوا يخشون أن تكون خطوة أولى نحو تطبيع العلاقات مع الغرب. كان مؤيدو إسرائيل مصدرًا رئيسًا للمعارضة في الولايات المتحدة. وكانت إسرائيل نفسها معارضة للصفقة بشدّة. في الواقع، تفاخر بنيامين نتنياهو بأنه أقنع ترامب بالانسحاب منها. ينظر:
Alexander Fulbright, "In Recording Netanyahu Boasts Israel Convinced Trump to Quit the Nuclear Deal," *Times of Israel*, 17/7/2018, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3RKrt8I

16 "India to Boost Iran Port Project, Links to Afghanistan," *Reuters*, 25/5/2016, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3S5HIPm

17 Achmad Ibrahim & Niniek Karmini, "Iranian Leader Visits Indonesia to Deepen Economic Ties Amid Global Geopolitical Challenges," *Independent*, 23/5/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3tyFJtl

Shanghai Cooperation Organization, SCO، والجهود التي بذلتها للانضمام إلى الاتحاد الاقتصادي للمنطقة الأوروبية الآسيوية Eurasian Economic Union، يُظْهران فهم إيران العميق للشرق. يشمل تعريف الجمهورية الإسلامية الإيرانية «للشرق» أيضًا روسيا، على الرغم من أنّ العلاقات الروسية - الإيرانية لها ديناميّات مختلفة. وترى إيران ما يُعرف بالمنطقة الأوروبية الآسيوية (أوراسيا)، من منظور دور مركزي لروسيا. نتيجة لذلك، كانت طهران مهتمة بالانضمام إلى مجموعات اقتصادية أنشأتها روسيا، مثل الاتحاد الاقتصادي للمنطقة الأوروبية الآسيوية. في الواقع، وبعد مفاوضات طويلة مع روسيا، وقّعت طهران في عام 2018 اتفاق تجارة حرّة مع الاتحاد الاقتصادي للمنطقة الأوروبية الآسيوية[18]. وأبدت إيران اهتمامًا أيضًا بتوقيع اتفاقية تعاون طويلة الأمد مع روسيا مشابهة لتلك الموقّعة مع الصين، لكنّها حتى الآن لم تنجح في ذلك[19].

ثالثًا: توقّعات إيران من سياسة التوجّه شرقًا

سعت إيران، من خلال توطيد علاقاتها بالأطراف الفاعلة الآسيوية الأساسية، إضافةً إلى روسيا، إلى تلبية بعض احتياجاتها الأمنية والاقتصادية. كان الهدف الرئيس لتلك العملية الحدّ من شعور طهران بالعزلة الدولية، فقد سعت إلى أن تبيّن للدول الغربية وحلفائها الإقليميين أنها ليست وحيدة وليست مهمّشة، وذلك من خلال تعزيز الروابط مع منظمات مثل الاتحاد الاقتصادي للمنطقة الأوروبية الآسيوية ومنظمة شنغهاي للتعاون. وفي السياق نفسه، أرادت طهران أن تكسب دعم قوى عظمى للتخفيف من آثار سياسات الغرب العقابية، وحمايتها من الضغوط التي أطلقها في المحافل الدولية المختلفة، بما في ذلك الأمم المتحدة. سعت إيران إلى أن تستخدم الصين وروسيا سلطتهما لمنع فرض إجراءات عقابية عليها، كونهما عضوين دائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ويتمتعان بحق النقض. أما الهدف الأمني الإيراني الآخر فكان البحث عن مصادر للإمدادات العسكرية. إضافة إلى ذلك، كانت إيران تأمل في كسب شركاء تجاريين جدد، والأهم، العثور على مصادر جديدة للاستثمار.

رابعًا: سجلّ مخيّب للآمال

حتى الآن، لم يتحقق أيّ من توقعات إيران بشأن المكاسب الأمنية والاقتصادية الناجمة عن سياسة التوجّه شرقًا التي اعتمدتها. وينطبق ذلك على علاقتها بروسيا وبشريكيها في آسيا الوسطى، أي الهند والصين. لم تكن روسيا والصين مستعدتَيْن لاستخدام نفوذهما في الأمم المتحدة، لا سيّما حق النقض في مجلس الأمن، لحماية إيران من السياسات الغربية العقابية. وتعاملت كلتا الدولتين أيضًا مع إيران بغطرسة إلى حدٍّ ما. وخير مثالٍ على ذلك كان في عام 2006، بعد فترة وجيزة من اعتماد إيران لاستراتيجية التوجه شرقًا. في ذلك الوقت، أيّدت روسيا والصين موقف مجموعة 5+1 بشأن برنامج إيران النووي. وفي عام 2007، صوّت كلّ منهما لصالح قرار مجلس الأمن رقم 1747 الذي فرض عقوبات شديدة على إيران، وجمّد أصولها المالية في الخارج.

وعلى الرغم من ادعاء موسكو أن علاقة استراتيجية تربطها بإيران، فإنها كانت تتريّث في تزويد طهران بأسلحة متطوّرة، مثل منظومة الدفاع الجوي والطائرات. فقد استغرقت روسيا فترة طويلة لتزوّد إيران بمنظومة إس-300 (S300) للدفاع الجوي. ولا شكّ في أنّ بعض هذا التأخير يعود إلى العقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة

18 Silvia Boltuc, "Iran and the Eurasian Economic Union Signed an Agreement on a Free Trade Zone," *Special Eurasia*, 20/1/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/41EwOTL

19 "Iran Hopes Strategic Pact with Russia Finalized in a Month," *Tehran Times*, 30/3/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3RFXejf

على بيع الأسلحة لطهران. وحتى بعد أن رفعت الأمم المتحدة الحظر المفروض في أعقاب الاتفاق النووي لعام 2015، استمرت موسكو في التباطؤ في تسليم منظومة الدفاع الجوي إلى إيران، ولم تسلّمها إلّا في عام 2016[20]. بحلول ذلك الوقت، استُبدلت هذه المنظومة بمنظومة إس400- (S400). وعلى النقيض من ذلك، على الرغم من معارضة الولايات المتحدة، باعت موسكو منظومة أس400- لتركيا بسرعة فائقة[21].

ينطبق الأمر نفسه على الطائرات المتطوّرة، إذ سعت إيران إلى الحصول على طائرات سوخوي35- الروسية. وعلى الرغم من التقارير التي أفادت بأنّ موسكو ستسلّم هذه الطائرات في آذار/ مارس 2023، فإنّ عمليّة التسليم لم تتمّ[22]. وحتى مراكز الأبحاث الأميركية التي تميل إلى المبالغة في وصف مستوى العلاقات الروسية - الإيرانية، لم تتمكّن حتى الآن من تحديد فعلي لعملية تسليم أسلحة معيّنة[23]. وأظهرت روسيا أيضًا تجاهلًا تامًا لمصالح إيران في النزاعات الإقليمية، ليس في جنوب القوقاز فحسب، بل في سورية أيضًا؛ إذ استخدمت موسكو إيران على نحو أساسي لتحقيق مصالحها الخاصة. فلم تكن روسيا على سبيل المثال، مستعدّة لاستخدام نفوذها لدى إسرائيل لتحول دون قصفها مواقع إيرانية في سورية[24]. وعندما بذلت إيران مساعيَ حثيثة للانضمام إلى منظمة شنغهاي للتعاون، رفضت روسيا دعم عضويتها متذرّعةً بدول مثل طاجيكستان، التي عارضت انضمام طهران إلى المنظمة فترة طويلة، بسبب دعم إيران للإسلاميين فيها[25]. وفي أيلول/ سبتمبر 2021، وافقت المنظمة، خلال القمّة التي عقدتها، على تغيير وضع إيران من مراقب إلى عضو دائم في المنظمة[26]. وبذلك، أصبحت عضوًا دائمًا في منظمة شنغهاي للتعاون في تموز/ يوليو 2023.

على الصعيدين الاقتصادي والتجاري، لم تفعل روسيا الكثير لمساعدة إيران، التي تعاني عجزًا تجاريًا كبيرًا معها. فعلى سبيل المثال، في عام 2018، بلغت صادرات روسيا إلى إيران 3.7 مليارات دولار، بينما لم تتجاوز صادرات إيران إلى روسيا سوى 280 مليون دولار. وارتفع حجم التجارة بين البلدين بعض الشيء في عام 2022، إذ بلغ إجمالي التبادل التجاري 4.6 مليارات دولار. ومع ذلك، مقارنة بتوسّع التجارة الروسية مع تركيا التي ارتفعت خلال الفترة نفسها إلى 60 مليار دولار، بقي حجم التجارة الروسية - الإيرانية متدنيًا للغاية[27]. ولم تُبدِ روسيا أيّ استعداد لتقديم شروط تجارية تفضيلية لإيران. فكانت إيران تأمل على سبيل المثال، أن تصبح روسيا سوقًا مهمةً لمنتجاتها من الفاكهة والخضروات. في المقابل، تبنّت روسيا ذرائع مختلفة، بما في ذلك ادعاء أنّ المنتجات الإيرانية كانت دون المستوى المطلوب، لتُبقي وارداتها من السلع الزراعية الإيرانية منخفضة. وقبل بضع سنوات، أعادت روسيا كمّية من الفلفل كانت قد صدّرتها إيران زاعمةً أنّها دون المستوى المطلوب[28]. في الواقع، كان نهج روسيا تجاه العلاقات الاقتصادية نهجًا استغلاليًا، وأتى متّسقًا مع موقفها تجاه العلاقات الأمنية والسياسية مع إيران. وينعكس ذلك في الخلل الكبير في شروط التجارة الثنائية بينهما.

---

20 "Russia Completes the Delivery of S 300 to Iran: RIA," *Reuters*, 13/10/2016, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3TEGDz2

21 فرضت الولايات المتحدة عقوبات على تركيا ردًّا على تلك الخطوة. ينظر:
Amanda Macias, "US Sanctions Turkey Over Purchase of Russia S400 Missile System," *CNBC*, 14/12/2019, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3H4jXAK

22 "Iran to Buy SU Fighter Jets from Russia, Iranian Broadcaster," *Reuters*, 12/3/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3tB07tO

23 "Deepening Iran-Russia Strategic Alliance," *Iran Primer*, 25/4/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3tFlutZ
إن صحّت المصادر الأميركية، على الأقل منذ بداية الحرب الأوكرانية، فإن إيران هي التي ساعدت روسيا عسكريًا من خلال إرسال مسيّرات وغيرها من الذخيرة.

24 Suleiman Al-Khalidi, "Israeli Strikes Hit Iranian Targets Near Russia's Mediterranean Bases," *Reuters*, 14/8/2022, accessed on 23/3/2024, at: https://reut.rs/3NO34OB

25 "Tajikistan Opposed to Iran's Full SCO Membership," *Iran Front Page*, 22/4/2017, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3NMmH9F

26 "Agreed by the Eight Member States; The Islamic Republic of Iran Becomes the 9th Member of SCO," Islamic Republic of Iran Ministry of Foreign Affairs, 17/9/2021, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/47hWk2f

27 "An Inside Look at the Breaks on Iran-Russia Trade Ambitions," *Amwaj.media*, 23/3/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3S1bowR

28 "Russia Returns Pepper Shipments," *Financial Tribune*, 6/12/2021, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3RCedmC

بلغ استثمار روسيا في الاقتصاد الإيراني حدّه الأدنى أيضًا. غير أنّ الوضع قد يتغيّر، ويرجع ذلك إلى العقوبات التي فرضها الغرب عليها بعد غزوها أوكرانيا في شباط/ فبراير 2022. فعلى سبيل المثال، أعلنت السلطات الإيرانية مؤخرًا أن روسيا استثمرت 2.7 مليار دولار في ثلاثة حقول نفطية في إيران في عام 2021، وتخطّط لاستثمار 50 مليار دولار في مجال النفط الإيراني[29]. لكنّ السلطات الإيرانية لم تقدّم أيّ تفاصيل عن توزيع الاستثمارات الروسية المستقبلية[30]. إضافةً إلى ذلك، لا تزال هناك شكوك كبيرة بشأن مدى جدّية روسيا في مساعدة إيران على تطوير قطاع الطاقة لديها؛ إذ إنّ وثائق البنتاغون التي جرى تسريبها تشير إلى أنّ موسكو مترددّة في القيام بذلك[31]، وهذا الأمر مفهوم، لأنّها بوصفها منتجةً للطاقة، ترى في إيران منافسة لها. وفي السياق نفسه، لم تكتمل مساهمة روسيا في عملية تطوير شبكة السكك الحديدية والطرق الإيرانية. إذ كان من المفترض على سبيل المثال، أن تموّل جزءًا من خط السكة الحديدية رشت-آستارا، على طول ما يسمى بممرّ العبور الشمالي - الجنوبي الذي يهدف إلى ربط الهند بروسيا. لكنها لم تفعل ذلك حتى الآن. ربما يتغيّر الوضع، كما سبق الذكر، فقد جدّدت موسكو التزامها باستكمال هذا المشروع[32].

تسود أيضًا حالة عدم اليقين بشأن روسيا، بخاصةٍ في ما يتعلّق بمستقبل فلاديمير بوتين. ربما يكون التحدّي الذي يفرضه قائد مجموعة فاغنر، وهي مجموعة مسلّحة مشاركة في حرب أوكرانيا، على زعامة بوتين نذيرًا لمشاكل في المستقبل. وفي حال أُقيل الأخير، ربما تتغيّر سياسة موسكو تجاه طهران. وحتى لو لم يحدث ذلك، ربما لا تكون روسيا قادرة على مساعدة إيران، في حال أرادت ذلك، وهو أمر مشكوك فيه بسبب الصعوبات الاقتصادية وغيرها التي تعانيها[33]. فعلاقات إيران التجارية بدول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز شبه معدومة أيضًا. وتفيد وكالة أنباء فارس بأنّ صادرات إيران إلى دول آسيا الوسطى بلغت أقلّ من مليارَي دولار في عام 2022 [34]. أما صادراتها إلى بيلاروسيا، عضو الاتحاد الاقتصادي للمنطقة الأوروبية - الآسيوية، فأقلّ من ذلك. وبما أنّ هذه البلدان من أعضاء هذا الاتحاد، باستثناء روسيا، وهي أقلّ نموًا، تبقى قدرتها على مساعدة إيران محدودة.

خامسًا: الصين والهند

كان في إمكان الصين أن تصبح مصدرًا للاستثمار الذي يمثّل حاجةً ماسةً لإيران، وداعمًا سياسيًا لها في الوقت نفسه. غير أنّها مثّلت حتى الآن مصدر خيبة بالنسبة إلى إيران، مثلها مثل روسيا. ففي عام 2007، لم تستخدم بيجين حق النقض في مجلس الأمن لمنع فرض عقوبات دولية على إيران. وفي السياق نفسه، لم تزوّد الصين إيران بعتادٍ عسكري كبير خلال العقود الثلاثة الماضية. ولم تكن سوى قناة غير مباشرة تمكّنت طهران من خلالها من الحصول على بعض التكنولوجيا، بخاصةٍ في عملية تصنيع الصواريخ[35]. وتقتصر مساهمة الصين

29 "Russian Firms Invest $2.7 Billion in Iran's Oil Industry: Official," *Tasnim News Agency*, 2/6/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/49RXTWz

30 Irina Slav, "Iran and Russia Discuss Joint Development of Oil and Gas Fields," *Oil Price.com*, 18/5/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3vm4f1m

31 "Leaked Documents Show Russia's Reluctance to Invest in Iran's Oil Sector," *Iran International*, 16/2/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/41XQfHr

32 "Russia Signals Focus on Transit Sectors as Economic Ties Lag Military Partnership," *Amwaj.media*, 11/4/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3TKCs4K

33 Ellen Ionaes, "Russia's Wild Lat 24 Hours and the Wagner Group's March to Moscow Explained," *Vox*, 24/6/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3TIeJlA

34 في عام 2022، بلغت صادرات إيران إلى أذربيجان 650 مليون دولار، وإلى أرمينيا 465 مليون دولار، وإلى تركمانستان 460 مليون دولار، وإلى أوزبكستان 290 مليون دولار. وتشكّل أغلبية العمليات التجارية بين إيران وتركمانستان وأذربيجان عمليات تبادل للغاز. ينظر:
"Iran's Exports to Central Asian States, Caucasus, Russia Surge 18% in 2022," *Fars News Agency*, 28/5/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3TKK33h

35 Tuvia Gering & Jason Brodsky, "Not 'Business as Usual': The Chinese Military's Visit to Iran," Middle East Institute, 16/5/2022, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3H0quMX

الوحيدة في ما يتعلّق بأمن إيران حتى الآن، على الوساطة التي بادرت إليها لإجراء المصالحة بين طهران والرياض. غير أنّ الجهود لتحسين العلاقات بين الطرفين كانت قد بدأت قبل فترة طويلة من بدء تدخّل الصين. فقد أجرت إيران والمملكة العربية السعودية، على مدى أكثر من سنتين، محادثات في العراق وفي سلطنة عمان بشأن خلافاتهما المعلّقة وبحثتا في سبل حلّها. بعبارةٍ أخرى، لقد جرى إعداد الشروط اللازمة مسبقًا لنجاح وساطة بيجين. إضافةً إلى ذلك، استفادت الصين من الاضطلاع بهذا الدور، من خلال إظهار قدراتها بوصفها صانعة سلام في الشرق الأوسط، بخاصة في الوقت الذي تبدّدت فيه قدرة الولايات المتحدة على ممارسة دور الوسيط النزيه في المنطقة[36].

وقد انسحبت الصين، في مناسبات عدّة، من اتفاقيات كانت قد أبرمتها لتطوير حقول النفط الإيرانية. ففي عام 2010، اضطرت إيران إلى إلغاء الاتفاقية معها لتطوير حقل آزادغان النفطي، بسبب تأخير الصين في بدء العمليات. ويبدو أن بيجين قرّرت، بدلًا من ذلك، تطوير التعاون في مجال الطاقة مع الولايات المتحدة[37]. وكانت الصين، قبل إلغاء اتفاقية آزادغان، قد ألغت بالفعل مشاريع أخرى في إيران، مثل بناء محطات للطاقة النووية. وكان السبب الرئيس هو القلق بشأن الردّ الأميركي[38].

لم تلتزم الصين أيضًا بتعهّداتها المتعلّقة بالاستثمار في إيران، إذ ظلّت الاستثمارات الصينية في إيران متدنّية للغاية حتى بعد توقيع الاتفاقية التي تستمر خمسة وعشرين عامًا. إذ إن مصادر إيرانية تفيد بأنّ إجمالي الاستثمارات الصينية في إيران بلغ 185 مليون دولار في عام 2021 [39]. وكانت أغلبيتها استثمارات في مشاريع المعادن صغيرة الحجم والترانزيت. خلال الفترة نفسها، استثمرت الصين 690 مليون دولار في حقليَ نفط في أفغانستان و530 مليون دولار في باكستان. وفي الفترة 2021 - 2022، استثمرت الصين 750 مليون دولار في باكستان وأكثر من مليار دولار في تركيا. وأفادت تقارير حديثة بأن الصين وقّعت اتفاقية مع الحوثيين لتطوير حقول نفط في اليمن[40]. وفي عام 2023، أعلنت الصين، التي تعاني إيران أيضًا عجزًا تجاريًا كبيرًا معها، أنها ستستثمر 10 مليارات دولار في المملكة العربية السعودية وفي دول عربية أخرى[41]. وبلغ إجمالي حجم التجارة بين إيران والصين في عام 2022 نحو 15.8 مليار دولار، بينما بلغت تجارة الصين والسعودية في عام 2021 نحو 87.3 مليار دولار. تكمن الفائدة الوحيدة من العلاقات مع الصين في شراء بيجين للنفط الإيراني، على الرغم من العقوبات الأميركية. ومقارنةً بواردات الصين من النفط العربي، فإنّ حجم استيرادها للنفط الإيراني يبقى منخفضًا أيضًا. إضافة إلى ذلك، تبيع إيران النفط للصين بسعرٍ أقلّ من أسعار السوق[42].

ينطبق الأمر نفسه على الهند؛ فعندما عُرِضَ الملف النووي الإيراني للمناقشة في اجتماع الوكالة الدولية للطاقة الذرية في عام 2005، صوّتت دلهي لفائدة إحالة الملف إلى مجلس الأمن. وقد أثار ذلك دهشة المفاوض الإيراني آنذاك، علي لاريجاني، الذي قال: «نحن [إيران] كنّا نظنّ أنّ الهند صديقتنا». في السياق

36 Peter Baker, "Chinese Brokered Deal Upends Middle East Diplomacy and Challenges the US," *The New York Times*, 11/3/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3tFlJ8n

37 "Iran Cancels Oil Field Deal with CNPC," *Reuters*, 30/4/2014, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/41FA29y

38 للاطلاع على تحليل موجز عن العلاقات الإيرانية - الصينية بعد الثورة الإسلامية، ينظر:
Hunter, *Iran's Foreign Policy in the Post-Soviet Era*, pp. 123 - 124.

39 Parisa Hafezi & Andrew Haley, "China Presses Iran to rein in Houthi Attacks in Red Sea Sources Say," *Reuters*, 26/1/2024, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3SACWs5

40 Tsvetana Paroskova, "Houthis Sign Deal with China for Oil Exploration in Yemen," *Oil Price.com*, 22/5/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/48zXdEh

41 Sakina Fatima, "China, Arab Countries Sign Investment Worth USD 10 Billion in Riyadh," *Siyasat Daily,* 13/6/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/41KcNeg

42 بشأن التجارة بين الصين وإيران، ينظر:
Emil Avdaliani, "China's 2023 Trade and Investment with Iran: Development Trends," *Silk Road Briefing*, 12/2/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3SHprXs

نفسه، تراجعت الهند أيضًا عن التزامها بتطوير حقل فرزاد النفطي، ولم تفِ بالتزاماتها بشأن ميناء تشابهار، على الرغم من حصولها على إعفاء من الولايات المتحدة. وقد انتقص وزير الطرق والتنمية العمرانية الإيراني مهرداد بذرباش، في مقابلةٍ أُجريت معه، من أهمية تراجع الهند عن التزامها بتطوير الميناء، وقال إنّ إيران تبحث عن مستثمرين قادرين على الالتزام مدّة طويلة[43]. بإيجاز، لم تسفر سياسة إيران في التوجه شرقًا عن مزايا مهمة تستحق الذكر.

سادسًا: أسباب فشل سياسة التوجّه شرقًا

تعود أسباب فشل سياسة إيران في التوجّه شرقًا، إلى ثلاثة عوامل رئيسة. يكمن العامل الأوّل في الوضع المتردّي للاقتصاد الإيراني، وتدنيّ جودة منتجاتها نسبيًا مقارنةً بمنتجات منافسيها. إذ إنّ عمليّة تغليف المنتجات الزراعية الإيرانية غالبًا ما تكون دون المعايير العالمية، ما يدفع المشترين المحتملين إلى العدول عن شرائها. وينطبق الأمر نفسه على منتجات أخرى مثل الملابس والمنسوجات والسلع الجلدية، ويعود ذلك، إلى حدٍّ كبير، إلى أنّ إيران لم تستثمر على نحوٍ كافٍ في هذه الصناعات، أو لم تعمل على تطويرها. ويعزى جزء من هذا الإهمال إلى إخفاق إيران في ترتيب أولوياتها، وبعض سياساتها الداخلية؛ إذ إنّ القيود الثقافية في البلاد، فضلًا عن الغموض في سياساتها، أدّيا إلى هروب أعداد كبيرة من رؤوس الأموال. أما السبب الآخر، فيكمن في نقص الموارد المالية. وقد شكّل هذا النقص العقبة الأبرز أمام توافر الاستثمارات اللازمة منذ عام 2008، إلى جانب فرض عقوبات أميركية صارمة. وكانت عمليات التسويق الإيرانية غير فعّالة أيضًا؛ وذلك للأسباب نفسها.

أما العامل الثاني فهو الطبيعة التنافسية للعلاقات الاقتصادية والسياسية بين إيران وكلّ من روسيا ودول آسيا الوسطى. فروسيا تنظر إلى إيران بوصفها منافسًا رئيسًا في مجال الطاقة. لذلك، لم تؤيّد يومًا عملية التطوير الكامل لموارد الطاقة في إيران، لا سيّما الغاز الطبيعي. وكانت روسيا تنظر إلى موارد الطاقة لديها بوصفها أداةً سياسيةً للحفاظ على نفوذها في مناطق من الاتحاد السوفياتي السابق، وأوروبا. وقد سعت موسكو إلى الحدّ من الخيارات السياسية والعسكرية لأوروبا، من خلال دفع الدول الأوروبية، مثل ألمانيا، إلى الاعتماد على موارد الطاقة الروسية. وأصبح هذا الاعتماد واضحًا بعد غزو روسيا لأوكرانيا. وكانت أيضًا تعارض باستمرار التعاون في مجال الطاقة بين إيران ودول الاتحاد السوفياتي السابق، بخاصةٍ أرمينيا.

إضافة إلى ذلك، وبعد رفض الأوروبيين شراء الغاز والنفط الروسيّين في إثر غزو أوكرانيا، تحرّكت روسيا بقوّة للاستحواذ على أسواق الطاقة الإيرانية في آسيا، بما في ذلك الصين، من خلال تقديم تخفيضات كبيرة[44]. في الواقع، اعترف مسؤول روسي في عام 2022 بأنّ موسكو استفادت من العقوبات الاقتصادية الأميركية على إيران. ولهذه الأسباب، اعتقد عدد من المراقبين، فترة طويلة، أنّ الكرملين لم يكن يؤيد إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة، وقد منع إيران، في بعض المنعطفات الحرجة، من الموافقة على صيغة كان من الممكن أن تؤدي إلى إحياء الاتفاق النووي[45].

---

43 "Tavafoqnameh-e Sakht-e Rah-Ahan-e Rasht-Astara Hafteyeh Ayandeh Emza Mishavad (The Agreement to Build the Rasht-Astara Railroad Will be Signed Next Week)," *IRNA*, 9/5/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/48hsb4u

44 Dalga Khatinoglu, "More Evidence Emerges of Russia Taking Iran's Oil Market Share," *Iran International*, 22/7/2022, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/41Gbihk

45 Parisa Hafezi & Francois Murphy, "Russia's Demand for Guarantees May Hit Nuclear Talks, Iran Official Says," *Reuters*, 5/5/2022, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3RA1mkU

كما ذُكر سابقًا، تنظر روسيا إلى إيران بوصفها منافسًا سياسيًا محتملاً في مناطق مثل جنوب القوقاز. وكانت في كثير من الأحيان، تعمل ضد المصالح الإيرانية في هذه المنطقة. فموسكو ليست متعاطفة حاليًا مع مخاوف إيران بشأن التغييرات المحتملة على حدودها مع أرمينيا. حيث تسعى تركيا وأذربيجان إلى إنشاء ممرّ عبر منطقة زانغازور الأذربيجانية، لربط باكو بجمهورية نخجوان [الأذربيجانية] التي تنعم بحكم ذاتي، من دون المرور عبر إيران. وفي حال حصل ذلك، لن تستطيع إيران الوصول إلى روسيا وأوروبا عبر جنوب القوقاز[46]. إضافة إلى ذلك، لا يحبّذ الكرملين أيديولوجيا إيران الإسلامية، على الرغم من أن موسكو اعتمدت سياسةً تجاهها بناءً على اعتبارات براغماتية. ويوضح هذا جزئيًا سبب إبقاء بوتين مسافة بينه وبين إيران[47].

صحيحٌ أنّ نفوذ إيران الثقافي متجذّر في منطقة آسيا الوسطى، إلّا أنّ الانقسام التركي الفارسي يؤثر في مواقف دول المنطقة تجاه طهران. فجمهورية أذربيجان، على سبيل المثال، لديها بعض المزاعم الوحدوية في إيران [تجاه أذربيجان الإيرانية]. علاوة على ذلك، تتنافس اقتصادات هذه الدول مع الاقتصاد الإيراني، بدلًا من أن تكون مكمّلة له. إذ تُعدّ أذربيجان وتركمانستان وكازاخستان بلدانًا تنتج الطاقة وتصدّرها، حتى إنّ أوزبكستان تصدّر الغاز الطبيعي. ومن ثم، استفادت هذه الدول أيضًا من عزلة إيران واستبعادها من أسواق الطاقة العالمية، بما في ذلك، الأسواق الأوروبية. فبعد اندلاع الحرب الروسية - الأوكرانية وتوقّف روسيا عن تصدير الطاقة إلى أوروبا، تواصل الاتحاد الأوروبي مع باكو وأبرم صفقات طاقة جديدة معها، على الرغم من سجلّ جمهورية باكو السيئ في مجال حقوق الإنسان[48]. أما في بعض المجالات الأخرى، مثل الزراعة ومنتجات التعدين، فتتنافس اقتصادات إيران ودول آسيا الوسطى.

وإيران لا تتبوّأ موقعًا ذا أهمية استراتيجية بالنسبة إلى روسيا، ويصحّ الأمر نفسه على الصين. ونظرًا إلى أنّ تركيا، على سبيل المثال، تتمتّع بقوّة اقتصادية، فضلًا عن أنها عضو في حلف الناتو، وتنعم بنفوذ في آسيا الوسطى وجنوب القوقاز، فهي تحظى بأهمية استراتيجية أكبر بالنسبة إلى روسيا مقارنة بإيران. وبناءً عليه، فإنّ موسكو أشد حساسية لمصالح أنقرة من مصالح إيران. وبالنسبة إلى الصين أيضًا، لا تحظى إيران بأهمية جيوسياسية جوهرية كبيرة، مقارنة بدول مثل باكستان وحتى أفغانستان على وجه الخصوص. وطوال فترة، رأت الصين في باكستان دولةً حليفةً مهمة ضدّ الهند؛ لهذا السبب استثمرت على نحو كبيرٍ في ميناء غوادر في باكستان، الذي يُعدّ غالبًا منافسًا لميناء تشابهار في إيران، واستثمرت أيضًا في مشاريع بنية تحتية أخرى.

في الوقت نفسه، تدرك روسيا والصين الإمكانات الاقتصادية وحتى العسكرية التي تملكها إيران، إذا قرّرت حكومتاهما تغيير توجّهات سياستهما الخارجية، ومن ثم، تأمين التجارة والاستثمارات من الغرب والمنظمات الدولية. فهما لا تريدان أن تتطوّر إيران وتصبح أكثر استقلاليةً وأقلّ خضوعًا لطلباتهما؛ لذلك، لا تريد أيّ من هذه الدول مساعدة إيران على تحقيق نموّ اقتصادي، بل تريد الإبقاء على حالة التبعية الحالية، واستغلالها في نزاعها الخاص مع الغرب.

أما الهند، فهي تنظر إلى إيران بعين الريبة، بخاصةٍ في ظلّ حكومة مودي القومية الهندوسية، وسياستها الداخلية المعادية للمسلمين. ولا تستطيع إيران، التي تحدّها باكستان، الذهاب بعيدًا في التقرّب من الهند من دون إثارة غضب باكستان، مع ما قد يرافق تلك السياسة من مخاطر. إضافة إلى ذلك، تطمح الهند إلى أن تصبح طرفًا فاعلًا على الصعيد الدولي، بما في ذلك في منطقة الخليج، ومن ثم، فإنها لن ترحّب بإيران دولةً قوية. ففي

46 Vali Kaleji, "Iran-Russia Diverge on the South Caucasus," *CACI Analyst*, 15/6/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3RJc3lb

47 على سبيل المثال، لم يجرِ بوتين زيارة رسمية إلى إيران. إذ إنه زارها لحضور اجتماع رؤساء الدول المطلة على بحر قزوين فحسب.

48 "European Commission's Von Der Leyen Visits Azerbaijan to Seek Deal on Natural Gas," *Radio Free Europe/ Radio Liberty*, 18/7/2022, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/47e5Of3

سبعينيات القرن العشرين، عندما قرّر الشاه تحويل إيران إلى قوّة في المحيط الهندي، أعربت رئيسة الوزراء الهندية آنذاك، أنديرا غاندي، عن مخاوفها[49]. وتواجه إيران أيضًا خيارات صعبة في تحقيق التوازن بين العلاقات مع الصين والهند، وهما بلدان يتنافسان حينًا، ويصبحان عدوَّين حينًا آخر. بعبارة أخرى، تصبح هذه السياسة إشكاليّة بسبب موقع إيران الجيوسياسي وطبيعة أغلبية الدول المجاورة لها، سواء أكانت دولًا منافسة أو عدوّة تاريخيًا. ومن منظور جيوسياسي وجغرافي ثقافي، قد تمثّل اليابان وكوريا الجنوبية شريكين اقتصاديين أفضل لإيران. فهما ليستا قريبتين منها، ومن هنا، ليستا منخرطتين على نحو كبير في التنافسات والنزاعات الإقليمية. إلا أنّ هذا الخيار لم يكن متاحًا لإيران؛ نظرًا إلى موقف الجمهورية الإسلامية المناهض للغرب.

سابعًا: الأسباب الإقليمية والدولية

أما السبب الثالث والأشد أهمية وراء فشل سياسة التوجه شرقًا، فيكمن في توجّهات سياسة إيران الخارجية، بخاصةٍ في الشرق الأوسط، وطبيعة علاقاتها المتوترة بالأطراف الفاعلة الدولية والإقليمية الرئيسة، وأهمّها الولايات المتحدة وإسرائيل. في هذا السياق، كانت قطيعة إيران مع الغرب وعلاقاتها العدائية بالولايات المتحدة العائق الأكبر. وبسبب هذه القطيعة والخلافات السياسية، خضعت إيران، منذ عام 2008 لعقوبات صارمة[50]. ووفق ما ذُكر سابقًا، يعود سبب استمرار هذه القطيعة أيضًا إلى تردّد الولايات المتحدة في التواصل الجدّي مع إيران، واعتماد نهج عملي تدريجي لحلّ الخلافات. في المقابل، كان هذا التردّد ناجمًا في أغلب الأحيان عن تأثير إسرائيل، وإصرارها على عدم إجراء أيّ مصالحة أميركية - إيرانية قبل أن تبدّل إيران موقفها بشأن إسرائيل والقضية الفلسطينية.

أصبحت قدرة طهران على المساومة مع شركائها الشرقيين المحتملين ضعيفة، بسبب ابتعاد إيران عن الغرب. فقد كان هؤلاء الشركاء محقّين في اعتقادهم أنّه ليس أمام إيران مكان آخر تلجأ إليه. وبناءً عليه، لم يكونوا مستعدّين للاستثمار سياسيًا واقتصاديًا فيها. بدلًا من ذلك، كان هؤلاء الشركاء، بخاصةٍ روسيا، غالبًا ما يستغلّون إيران بوصفها ورقة مساومة في تفاعلاتهم مع الغرب. وبالنظر إلى التوازن الدولي في القوى الاقتصادية والسياسية، لم تكن أيّ من تلك الدول، وأبرزها روسيا والصين، مستعدة للتضحية بعلاقاتها بالغرب، بخاصةٍ الولايات المتحدة، من أجل إيران. لقد أصبحت الصين والولايات المتحدة مترابطتين على المستوى الاقتصادي، وعلى الرغم من أنه منذ تفشّي جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد–19)، وتنامي المنافسة السياسية والاستراتيجية بين البلدين، والتوترات التي تلت ذلك، سعت الدولتان إلى تخفيف بعض الروابط الاقتصادية القائمة بينهما[51]. ولا شكّ في أنّ الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية الرئيسة كانت تحاول تعزيز اكتفائها الذاتي في بعض المجالات الأساسية، وأبرزها الرقائق الدقيقة Microchips. وفي الآونة الأخيرة، أدركت الولايات المتحدة والصين أنّ الانفصال الاقتصادي الكامل سيكون مكلفًا للغاية ومؤذيًا لكليهما. في الواقع، بدلًا من الحديث عن فكّ الارتباط [مع الصين]، أصبح الحديث يدور حول الحدّ من المخاطر.

اقترحت واشنطن، في أوائل حزيران/ يونيو 2023، إجراء محادثات بشأن المسائل المتعلّقة بالدفاع، والتي لم تتعامل معها الصين إيجابيًا. ومع ذلك، اجتمع مسؤولون في مجال شؤون الدفاع من الولايات المتحدة والصين في كانون الثاني/ يناير 2024 [52]. صحيحٌ أنّ البلدين يحاولان تجنّب المواجهة العسكرية وإبقاء قنوات الاتصال مفتوحة، إلّا أنّ تخفيف حدّة التوترات بينهما لن يكون سهلًا، فأيّ تحسّن في العلاقات قد يشهد حالة من

49 بشأن تحفظات الهند على طموحات إيران في المحيط الهندي، ينظر:
Bhabani Sen Gupta, "The View from India," in *The Persian Gulf and the Indian Ocean in International Politics*, Abbas Amirie (ed.) (Tehran: Institute for International Political and Economic Studies, 1975), p. 183.

50 إلا أنّ إيران كانت خاضعة للعقوبات قبل ذلك، بما فيها قانون العقوبات المفروضة على إيران وليبيا وسورية.

51 على سبيل المثال، عملت الولايات المتحدة على زيادة الاستثمارات في تصنيع الرقائق الإلكترونية للحدّ من الاعتماد على الصين.

52 "Chinese and US Military Officials Hold First Talks Since 2021," *Financial Times*, 9/1/2024, accessed on 23/3/2024, at: https://shorturl.at/bpAHZ

عدم الاستقرار[53]. وتدفع الأسباب الاقتصادية حاليًا إلى استمرار الاتصالات بينهما. ويبيّن مستوى تجارة الصين مع الولايات المتحدة، التي بلغت 690.6 مليار دولار في عام 2022، أنّ إيران ليست في وضع يسمح لها بأن تكون بديلاً مجديًا [على الصعيد الاقتصادي] بالنسبة إلى الصين، بخاصة أنه مقارنةً بالرقم المذكور سابقًا، بلغت صادرات الصين إلى الولايات المتحدة 536.8 مليار دولار[54]. بإيجاز، لن تضحّي الصين بعلاقاتها الاقتصادية بالولايات المتحدة من أجل إيران، ما لم تتغيّر الأوضاع بصورة جذرية.

فضلًا عمّا سبق، ترتبط المنافسة بين الولايات المتحدة والصين بعامل القوّة على نحو رئيس، بخلاف التنافس الذي كان قائمًا خلال الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. وعلى الرغم من الموقف الأميركي المعلن بأنّ المنافسة مع الصين تتمحور حول الديمقراطية في وجه الاستبداد، فإنّه يفتقر إلى بُعدٍ أيديولوجي مهمّ. لذلك، فإن الموقف الصيني تجاه الولايات المتحدة هو براغماتي في الأساس. وعلاوة على ذلك، لا تعرف الصين أيّ تقارب أيديولوجي خاص مع إيران، على الرغم من أنها ترى أنّ الموقف الإيراني المعادي للولايات المتحدة يخدم مصالحها. ويعني هذا أنّ رؤية الصين في ما يتعلّق بالتكاليف والفوائد الناجمة عن علاقاتها بإيران والولايات المتحدة، كانت براغماتية، تستند إلى حسابات المصالح الوطنية الصينية الخاصة.

في الواقع، من اللافت أنّ سياسة إيران في التوجه شرقًا لن تنجح إلا إذا تمكّنت من تطبيع علاقاتها بالولايات المتحدة، ومن ثم، تتفادى العقوبات والقيود الناجمة عنها على علاقاتها الاقتصادية. باتت خيارات إيران محدودة بعد أن فشلت في استعادة علاقات مقبولة مع الغرب؛ إذ إنها بدلًا من أن تكون قادرة على اختيار شركائها والحصول على صفقات أفضل، جعلت نفسها عرضة لتلاعب دول مثل الصين وروسيا. بالتأكيد، استخدمت روسيا في كثير من الأوقات ما يسمى بـورقة إيران لمنع الغرب من الرد بقوة شديدة على بعض أنشطتها. وربما تكون الصين فعلت الأمر نفسه أيضًا، وربما تفعل ذلك في المستقبل[55]. ومن المتوقّع أن تتوقف الصين عن شراء النفط الإيراني، إذا وافقت الولايات المتحدة على التراجع عن قضية تايوان.

لقد أثّر عزل إيران دوليًا في علاقاتها بالدول المجاورة أيضًا، بما في ذلك آسيا الوسطى والقوقاز؛ إذ اتّبعت بعض هذه الدول التي كانت مدركةً عزلة إيران، لا سيّما أذربيجان، سياسة عدائية تجاهها، بخاصة خلال السنوات الماضية[56]. ولولا التفاوت الكبير بين إيران وأذربيجان في ما يتعلّق بالمساحة وعدد السكّان لما استطاعت حكومة باكو اعتماد مثل هذه السياسة، إذا لم تكن إيران معزولة. لكنّ باكو تعلم أنّ طهران لن تجرؤ على مهاجمتها أو تلجأ إلى إجراءات عقابية أخرى، بسبب عزلتها الدولية وعلاقاتها المعقّدة إلى حدٍّ كبير مع جيرانها الجنوبيين[57]، حتى إنّ تركمانستان تعاملت مع إيران بأسلوب سيئ في بعض الأحيان، فقد قطعت عشق آباد إمدادات الغاز إليها، ذات شتاء قاسٍ.[58]

ثامنًا: السياسات الإقليمية ومسألة إسرائيل

أما بالنسبة إلى العوامل الإقليمية، فقد شكّلت علاقات إيران العدائية بإسرائيل، والحملة التي شنّتها هذه الأخيرة ضدّ أيّ تحسّن في العلاقات الإيرانية - الغربية، العقبةَ الأبرز. وقد عرقلت علاقات طهران المتوتّرة مع

53 Nicole Hong, "Thaw in Relationship of China and US Is Fraught and Halting," *The New York Time*s, 2/6/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/4aEv68O

54 "U.S.-China Trade Stayed Robust in 2022. Will That Last?" *China File*, 28/2/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3NJZgh2

55 Shahir Shahidsaless, "Is Beijing Playing the Iran Card Against the US," *Middle East Eye*, 23/2/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3NHu6a3

56 Maziar Motamedi, "Analysis: Will Azerbaijan-Iran Tensions Lead to War?" *Al Jazeera*, 8/4/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/41Kwses

57 هناك أسباب محلية أيضًا تفسّر التأنيّ الذي اعتمدته إيران في تعاملها مع باكو، أهمها التداخل السكاني بين أذربيجان الإيرانية وأذربيجان الخاضعة لنظام باكو.

58 "Turkmenistan Halts Gas Exports to Iran," *Anadolu Agency*, 1/2/2017, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/47jQVYB

أطرافٍ فاعلة إقليمية أخرى، بخاصةٍ المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، سياسةَ التوجه شرقًا. إذ تتمتّع الصين بعلاقات اقتصادية وتجارية واسعة مع المملكة ودول أخرى في مجلس التعاون لدول الخليج العربية، لا سيما الإمارات وقطر. ومن ثم، لن ترغب بيجين في المجازفة بهذه العلاقات من أجل إيران. ومع ذلك، كانت مستعدّة للتدخل بوصفها وسيطًا بين إيران ودول الخليج الأساسية، مثل السعودية.

تودّدت موسكو أيضًا لدول مجلس التعاون؛ إذ تجمعها بدول الخليج العربية مصالح مشتركة في مجال الطاقة، وهي عضو في ائتلاف أوبك بلس OPEC Plus. إضافة إلى ذلك، ترى روسيا نفسها جهةً فاعلةً على المستوى العالمي، وتعتقد أنه يجب أن يكون لها حضور مناسب في الشرق الأوسط والخليج[59]. ولتحقيق ذلك، تحتاج إلى بناء علاقات جيدة مع الدول العربية. في الوقت نفسه، لم تكن البلدان التي حاولت إيران التقرّب منها، لا سيّما روسيا والصين والهند، مستعدّة لمعاداة إسرائيل. إذ تربط روسيا علاقات وثيقة بإسرائيل، ويعود ذلك جزئيًا إلى وجود أعداد كبيرة من اليهود الروس في ذلك البلد. وقد اتّضح من خلال سلوك روسيا طوال الحرب السورية أنّ موسكو غير راغبة في معاداة إسرائيل من خلال دعم إيران.

في الواقع، أبقت روسيا أجواءها مفتوحة أمام إسرائيل ما أتاح قصف المواقع الإيرانية في سورية. ولم تستغلّ إيران لتحقيق أهدافها الخاصة فحسب، بل تنافست معها على المشاريع الاقتصادية في سورية[60]. وكانت موسكو، في مجالات أخرى أيضًا، حريصة تجاه مخاوف إسرائيل، إذ أفادت أنباء بأنّ موسكو توصلت إلى اتفاق مع تل أبيب يقضي بعدم منح إيران طائرات متطوّرة، مقابل عدم مساعدة إسرائيل لأوكرانيا. وأفادت أيضًا بأن دول الخليج وإسرائيل مارست ضغوطًا على موسكو كي لا تزوّد إيران بأسلحة متطورة[61].

ينطبق الأمر نفسه على الصين؛ فعلاقاتها جيدة مع إسرائيل، التي ظلت، بصورة خاصة، سنوات عديدة، مصدرًا جيدًا للتكنولوجيا بالنسبة إليها، بما في ذلك على المستوى العسكري [62]. وبناء عليه، لم ترغب بيجين في أن تعرّض هذه العلاقات للخطر من خلال التقرّب أكثر من إيران. وربما تتوتر العلاقات الصينية - الإسرائيلية بسبب العامل الأميركي وتأثير التوترات الأميركية - الصينية. في هذه الحالة، يتعيّن على إسرائيل أن تنظر في تأثير علاقاتها بالصين في علاقاتها بالولايات المتحدة والدعم الأميركي المستمر لأمنها. وبالفعل، فقد عبّرت واشنطن عن بعض من امتعاضها من موقف إسرائيل الملتبس تجاه الحرب الأوكرانية[63]. إذ لم تعلن إسرائيل عن دعمها لأوكرانيا فترة من الوقت، مراعاةً منها لردّ فعل روسيا [64]. حتى إن الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي شكَا من هذا الأمر[65]. ومن العوامل التي دفعت إسرائيل إلى هذا التصرّف خوفها من أن تضاعف روسيا دعمها لإيران في حال دعمت أوكرانيا، أو تمنع إسرائيل من مهاجمة المواقع الإيرانية في سورية. ويبدو أنّ الدولتين توصلتا مجددًا إلى اتفاق في هذا الصدد، الأمر الذي ترك إيران مرة أخرى في وضعٍ حرج.

---

59 Nikolay Kozhanov, "Russia-GCC Relations; Where Quality Matters More Than Quantity," *Insight Turkey*, vol. 23, no. 1 (Winter 2021); Dmitry Frolowski, "Understanding Russia-GCC Relations," in: *Russia's Return to the Middle East: Building Sandcastles?*, Niciu Popescu Stansilav (ed.) (Luxembourg: European Union Institute for Security Studies, 2018).

60 Nikola Mikovic, "Why Russia Turns a Blind Eye When Israel Bombs Syria," *Asia Times*, 3/1/2022, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3H20ErH

61 Jay Solomon, "Gulf States and Israel are Secretly Lobbying Moscow Not to Arm Iran" *SEMAFOR*, 6/3/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://shorturl.at/rFU37

62 Shira Efron et al., *The Evolving Israel-China Relations* (Santa Monica, California: RAND Corporation, 2019).

63 Ben Samuels, "US Losing Patience with Israel Over Ukraine," *Haaretz*, 2/5/2022, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3RKxCBM

64 Daniel Rakov, "The Netanyahu Government's Approach to Russia and Ukraine," Washington Institute for Near East Policy, 28/2/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3TKDZI2

65 "Zelensky 'Shocked' by Lack of Israeli Defense Support: 'They Gave Us Nothing'," *Times of Israel*, 22/9/2022, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3vhoYTU

تاسعًا: الخلاصات والتوقعات

مثّلت العلاقات الإيرانية المشحونة مع الولايات المتحدة وإسرائيل، العامل الرئيس الذي أفشل سياسة إيران في التوجّه شرقًا. وكانت العقوبات الاقتصادية الشديدة المتتالية رادعًا للدول التي كان يمكن أن تكون معنية بالاستثمار فيها أو دعمها، بما في ذلك روسيا والصين؛ فقد أخطأت إيران أيضًا على نحو كبير في تقدير مدى استعداد الصين وروسيا لتقديم دعمهما لمجرّد أنهما دولتان متنافستان، وفي حالة إيران، بسبب عدائها للولايات المتحدة. فشلت طهران في تقدير حقيقة أنّ التنافس بين القوى العظمى اليوم لا تحرّكه الأيديولوجيا، بقدر ما تحرّكه الجغرافيا السياسية وحسابات القوة والمصالح. على النقيض من ذلك، لا تزال السياسة الخارجية الإيرانية، حتى في الزمن الحاضر، تحرّكها الأيديولوجيا إلى حدٍّ بعيد، بخاصة ميول قيادتها المعادية لأميركا وإسرائيل. من هنا، لن تؤدي سياسة إيران في التوجّه شرقًا إلى تحقيق أيّ مكاسب اقتصادية أو سياسية ملحوظة، من دون الوصول إلى نوع من المصالحة بينها وبين والولايات المتحدة ورفع العقوبات الأشد صرامة في المستقبل.

إنّ تدهور العلاقات الروسية - الأميركية والأميركية - الصينية قد يدفع بيجين وموسكو إلى رفع مستوى تفاعلهما مع إيران. وبالفعل، تواجه روسيا بعض المشاكل بسبب الحرب في أوكرانيا، ما دفع موسكو إلى إعادة تفعيل بعض المشاريع مع إيران، وهي مشاريع كانت مهملة بعض الوقت، منها مشروع خط السكة الحديدية رشت-آستارا، وهو جزء من الممر الشمالي الجنوبي. وقد وقّعت طهران وموسكو اتفاقية تستثمر بموجبها روسيا في بناء خط السكة الحديدية[66]. ويبدو أنّ المشكلات التي تواجهها روسيا في البحر الأسود قد عزّزت اهتمامها بمنطقة الخليج من خلال إيران. علاوة على ذلك، أصبحت موسكو أشد اهتمامًا بتوسيع علاقاتها التجارية مع إيران والدول الإسلامية؛ نظرًا إلى تراجع علاقاتها التجارية مع أوروبا على نحو كبير بسبب العقوبات. وفي هذا السياق أيضًا، ازدادت أهمية الطرق التي تمرّ عبر إيران بالنسبة إلى روسيا[67]. ويبدو أنّها باتت مستعدة لمساعدة إيران في تطوير حقول النفط والغاز لديها، هذا إن صحّت التقارير الواردة في وسائل الإعلام الإيرانية[68].

مع ذلك، لا يزال الوضع الروسي مبهمًا مع استمرار الحرب في أوكرانيا، ما يسبّب توترات داخلية في روسيا، وربما يمثّل تحديًا لسيطرة بوتين على السلطة. وحتى الآن، لم يحدث مثل هذا التغيير في موقف بيجين، حيث لا تزال علاقاتها بالولايات المتحدة متقلّبة، تتأرجح بين التوتّر والرغبة في المحافظة على العلاقات الاقتصادية، والحدّ من مخاطر النزاع العسكري، ويتضح ذلك من خلال زيارة وزير الخارجية الأميركي توني بلينكن لبيجين في 18 حزيران/ يونيو 2023 [69]. غير أنه في حال تدهورت العلاقات الصينية - الأميركية، قد تولي بيجين إيران المزيد من الاهتمام، وربما تستغلّها للضغط على واشنطن في الخليج. ومع ذلك، فإنّ هذا السيناريو لن يعود بالفائدة كثيرًا على إيران؛ لأنها ستقع في دائرة التنافس والنزاع بين الولايات المتحدة والصين.

---

66 "Emzaye 2 Qarardad va 8 Tafahum Nameye Nafti Beyn Iran va Russiyeh/ 80 Sherkat Rusi beh Iran Amadand (Signing of Two Contracts and Eight MoUs between Iran and Russia, 80 Russian Companies Came to Iran)," *Fars News Agency*, 17/5/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/48klRcC

67 "Turning Away from the West, Russia Seeks to Strengthen Economic Ties with the Muslim World," *France24*, 16/5/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3Sc62z7

68 "Iran Press Review, Russia to Modernize Outdated Iran Oil Industry," *Middle East Eye*, 18/5/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/47j0wic

69 Humeyra Pamuk, "Xi, Blinken Agree to Stabilize US-China Relations in Beijing Talks," *Reuters*, 19/6/2023, accessed on 23/3/2024, at: https://bit.ly/3TR2uTM

المراجع

Boltuc, Silvia. “Iran and the Eurasian Economic Union Signed an Agreement on a Free Trade Zone.” *Special Eurasia*. 20/1/2023. at: https://bit.ly/41EwOTL

Efron, Shira et al. *The Evolving Israel-China Relations*. Santa Monica, California: RAND Corporation, 2019.

Gering, Tuvia & Jason Brodsky. “Not ‘Business as Usual’: The Chinese Military’s Visit to Iran.” Middle East Institute. 16/5/2022. at: https://bit.ly/3H0quMX

Halliday, Fred. *Arabia Without Sultans*. London: Penguin Books, 1974.

Hunter, Shireen T. *Iran and the World: Continuity in a Revolutionary Decade*. Bloomington IN: Indiana University Press, 1990.

_____. *Iran Divided: The Historical Roots of Iranian Debates on Identity, Culture and Governance*. Lanham: Rowman and Littlefield, 2014.

_____. *Iran’s Foreign Policy in the Post-Soviet Era*. Santa Barbara: Praeger/ABC-CLIO, LLC, 2008.

Kaleji, Vali. “Iran-Russia Diverge on the South Caucasus.” *CACI Analyst*. 15/6/2023. at: https://bit.ly/3RJc3lb

Kozhanov, Nikolay. “Russia-GCC Relations; Where Quality Matters More Than Quantity.” *Insight Turkey*. vol. 23, no. 1 (Winter 2021).

Maloney, Susan. “US Policy Towards Iran: Missed Opportunities and Paths Forward.” *Brookings Institution*. vol. 32, no. 2 (2008). at: https://bit.ly/3NL8J7Y

Parsi, Trita. *Treacherous Alliances*: *The Secret Dealings of Israel, Iran, and the United States*. New Haven, CT: Yale University Press, 2007.

Rakov, Daniel. “The Netanyahu Government’s Approach to Russia and Ukraine.” Washington Institute for Near East Policy. 28/2/2023. at: https://bit.ly/3TKDZI2

Russia’s Return to the Middle East: Building Sandcastles?. Niciu Popescu Stansilav (ed.). Luxembourg: European Union Institute for Security Studies, 2018.

Slavin, Barbara. *Bitter Friends, Bosom Enemies*. New York: St. Martin’s Press, 2007.

The Persian Gulf and the Indian Ocean in International Politics. Abbas Amirie (ed.). Tehran: Institute for International Political and Economic Studies, 1975.